الدمار الذيذ

على كرسي المقهى، جلس بجوارها (حسام) وأمامه عصير الليمون بالنعناع، يتأمل ملامحها الرقيقة بسعادة.. هاتين العينين تسكبان الطُّهر في جداول الماء، تسقيانه شربة دفء.. تطعمانه الزهر، مع غناء العصافير ونسمة باردة.. كان معهما أبعد ما يكون عن الأرض، أقرب ما يكون إلى السماء.

هز رأسه في عنفٍ، وكأنَّما أراد أنْ يستعيد وعيه، واختطف نظرة ثانية لوجهها المبتسم له في صمت، وقال لها في ثبات:

ـ ألنْ تبتسمين؟!

نظرت إليه نظرة ساحرة يعرِفها جيدًا، ثم ردت (هند):

ـ بدون أسباب؟!

قال لها بسرعة واستنكار:

ـ بدون أسباب! يا سنا الياسمين.

ابتسمت في خجل، فأردف سريعًا:

ـ يا دمارًا!

قالت في دهشة طغت على ملامحها:

ـ أنا دمار؟!

ابتسم لها بعينيه، وقال بيقين:

ـ نعم، أنتِ من المدمرين، علامَ تتعجبين؟!

ما زال حاجباها مرتفعين، وعيناها في ذهول، وفمها عفا أنْ يردد إلّا كلمة واحدة خرجت بانفعال وتصميم:

ـ أنا؟!

قال لها:

ـ نعم، أنت كالزلزال أو البركان.. أتعلمين؟ أراكِ أقرب للإعصار بما تحدِثيه من دمار.

كان سيصمت، غير أنَّ ذهولها المستمر أجبره على الاسْتِمْرَارِ قائلًا:

ـ أجل، إذا مررتِ بقلبٍ يومًا، فأنتِ تتركينه بَعدك خرابًا، لا يريد الحب، ولا يصلُح له مجددًا، أنتِ وفقط، ولا حب بعدك، أليست هذه من أفعال الدمار كما الإعصار؟! يقتلع البيوت والأشجار، ولا تعود الأرض بعد مروره، كما كانت قبله؟ حبيبتي، كوني على يقين، أنتِ لهذا الكوكب من المدمرين، ولا بد للمنتصرين في معركة إنقاذ الأرض أنْ يدركوا خطركِ على مساعيهم.

ثم صمت لثانيتين، وردد هادئًا، وفي عينيه نظرة حنان:

ـ أو أنْ يرضخوا مثلي للدمار في هدوء واستسلام.